

الفصل في الملل والأهواء والنحل

علمنا ان التسبيح الذي ذكره اﷻ تعالى هو حق وهو معنى غير تسبيحنا نحن بلا شك فإذا لا شك في هذا فإن التسبيح في أصل اللغة وهو تنزيه اﷻ تعالى عن السوء فإذا قد صح هذا فإن كل شيء في العالم بلا شك منزله ﷻ تعالى عن السوء الذي هو صفة الحدوث وليس في العالم شيء إلا وهو دال بما فيه من دلائل الصنعة واقتضائه صانعا لا يشبه شيئا مما خلق على أن اﷻ تعالى منزله عن كل سوء ونقص وهذا هو الذي لا يفهمه ولا يفقهه كثير من الناس كما قال تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم فهذا هو تسبيح كل شيء بحمد اﷻ تعالى بلا شك وهذا المعنى حق لا ينكره موحد فإن كان قولنا هذا متفقا على صحته وكانت الضرورة توجب أنه ليس هو التسبيح المعهود عندنا ففقد ثبت قولنا وانتفى قول من خالفنا بطنه الكاذب وأيضا فإن اﷻ تعالى يقول وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم والكافر الدهري شيء لا يشك في أنه شيء وهو لا يسبح بحمد اﷻ تعالى البتة فصح ضرورة أن الكافر يسبح إذ هو من جملة الأشياء التي تسبح بحمد اﷻ تعالى وأن تسبيحه ليس هو قوله سبحان اﷻ وبحمده بلا شك ولكنه تنزيه اﷻ تعالى بدلائل خلقه وتركيبه عن أن يكون الخالق مشبها لشيء مما خلق وهذا يقين لا شك فيه فصح بما ذكرنا أن لفظة التسبيح هي من الأسماء المشتركة وهي التي تقع على نوعين فصاعدا وأما السجود الذي ذكره اﷻ سبحانه وتعالى في قوله وﷻ يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها فقد علمنا أن السجود المعهود عندنا في الشريعة واللغة هو وضع الجبهة واليدين والركبتين والرجلين والأنف في الأرض بنية التقرب بذلك إلى اﷻ تعالى وهذا ما لا يشك فيه مسلم وكذلك نعلم ضرورة لا شك فيها أن الحمير والهوام والخشب والحشيش والكفار لا تفعل ذلك لا سيما من ليس له هذه الأعضاء وقد نص تعالى على صحة ما قلنا وأخبر تعالى أن في الناس من لا يسجد له السجود المعهود عندنا بقوله تعالى واسجدوا ﷻ الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون فأخبر تعالى أن في الناس من يستكبر عن السجود له فلا يسجد وقال تعالى وﷻ يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها فبين تعالى أن السجود كرها غير السجود بالطوع الذي هو السجود المعهود عندنا وإذا قد أخبر اﷻ تعالى بهذا وصح أيضا بالعيان فقد علمنا بالضرورة أن السجود الذي أخبر اﷻ تعالى أنه يسجد له من في السموات والأرض هو غير السجود الذي يفعله المؤمنون طوعا ويستكبر عنه بعض الناس ويمتنع منه أكثر الخلق هذا مما لا يشك فيه مسلم فإذا كذلك بلا شك فواجب علينا أن نطلب معنى هذا السجود ما هو ففعلنا فوجدناه مبينا بلا إشكال في آيتين من كتاب اﷻ وهما قوله تعالى وظلالهم بالغدو والآصال وقوله تعالى أولم يروا إلى ما خلق

ا من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين و الشمال سجدا ۞ وهم داخرون فبين تعالى في هاتين الآيتين بيانا لا إشكال فيه إن ميل الفياء والظل بالغدوات والعشيات من كل ذي ظل هو معنى السجود المذكور في الآية لا السجود المعهود عندنا وصح بهذا أن لفظة السجود هي من الأسماء المشتركة التي تقع على نوعين فأكثر وأما قوله